

التجديد الوزني عند الشاعر عمر البهاء الأميري

د. عمر خلّوف

على الرغم من أنني لم أستوفِ مطالعة الأعمال الكاملة للشاعر عمر بهاء الأميري رحمه الله تعالى، ولكنني عطفاً على ما أمكنني الاطلاع عليه، وليس بالقليل، وجدت لديه ميلاً واضحاً إلى التجديد الوزني؛ والكتابة على ما يخالف العروض الخليلي. يتجلى ذلك على سبيل المثال في استخدامه مشطورات البحور التي لا يُشطرها الخليل . كقوله من مشطور البسيط (مع الله ص ١٢٠):

أدعوك يا ربّ من روعي ووجـداني
أدعوك من قلب الأملني وأشجانـي
أدعوك من غور إسمي وإيمانـي
أدعوك أدعوك يا ذا المـنّ والشـان
مسرعاً ككثف ضـرّ مسـ إخواني

وكقوله من مشطور الخفيف (مع الله ص ٩٧):

أيّ سرّ يُـدني بدني حـ دودي
كلمة همّـت فـي تجّـي سـجـ دودي
كيف تـذرو "سـ بحان ربـي" قـيـ دودي
كيف تـجـتـاز بـي وراء السـ دودي
كيف تـسـمـو بفطرـتي ووجـ دودي
عـن مـفاهـيـم كـونـي المعهـ دودي

وله مثلها في ديوان: (أذان القرآن، ص ١٤٦):

يَا إِلَهِي .. عَالَمٌ جَهْرِي وَسِرِّي
يَا شَاهِدًا وَزُرِّي .. وَقَرَانٌ فَجْرِي
يَا سَامِعًا فِي خَفِي قَلْبِي ذِكْرِي
وَبِقَائِي الْهَمِّ وَمِ حَمْدِي وَشُكْرِي
أَنْتَ قَدَّرْتَ فِي غُيُوبِي أَكْفَانِي
وَقَسَمْتَ الْجَنَّةَ لِي .. وَقَسَمْتَ عُمْرِي
يَا إِلَهِي، فَكُنْ مُسَدِّدًا أُمْرِي
وَكَفِنِي فِي الْهَيْمِ، وَأَمْسُحْ عُنِّي بِيَسْرِي

وهو من قلائل الشعراء الذين استخدموا وزن الرمل مثنياً (مع الله، ص ٧٨)

يَا مَعْنَانِي اللَّهُ فِي نَفْسِي وَرُوحِي وَضَمِيرِي
حَاقِي بِسِي وَارْتَقِي فَوْقَ سَمَاوَاتِ الْأَثِيرِ
أَشْرَقِي وَهَاجِرَةً فِي غَمْرِ قَلْبِي وَوَجْهِ وُدِي
وَالْبُثِّي وَضَّاءَةً فِي لَيْلِ عَمْرِي وَأَنْبِيْرِي
وَتَجَلَّى لِي لِجِبَالِ الْهَيْمِ تَجَلَّى فَوْقَ صَدْرِي
فَلَقَدْ أَرَهَقَ صَدْرِي حَمْلُ هَيْمِ مُسْتَطِيرِ
فَإِذَا مَا جُعَلْتُ ذِكْرًا أَعْيُنِي بَعْدَ زَمِ
أَنْ لَا أُرْغَبُ أَنْ أَصْعَقَ فِي سَبَاحِ الْقَدِيرِ
غَايِبَةً الْقَصْدِ وَمَنْ أَقْصَى دُهُرُ رَبِّ كَبِيرِ
جَذْبَةً تُنْعَمُ بِي بِبِقُرْبِ مَنْ رَبِّ كَبِيرِ

وهو من نواذر الشعراء الذين كتبوا على الوزن الرجزي: (مستفعلن مستفعلن فعلن)،
الذي لا يَرِدُ عادةً إلاّ عَجْزاً للبحر السريع، وقد جاء به الأميري صدرأً وعجزاً (قلبُ
ورب، ص ٩٩):

ذَنْبُكَ يَا إِنْسَانُ قَدْ يُغْفَرُ لَا تُتَّبِعِ الْخُسْرَانَ بِالْأَخْسَرِ
وَلَا تَقُلْ: جَبْرٌ ، فَمَا ذَنْبِي؟ وَمَحْصُ الْأَمْرِ.. فَمَنْ أَجَبْرٌ؟
هِيَهَاتَ أَنْ يُلْزِمَ بِالسُّوْأْنَاهِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمَنْكُرِ !
بِالْعَدْلِ بِالْإِحْسَانِ أَمَّا بِالْبِرِّ بِالْأَمْتَلِ بِالْأَطْهَرِ
فَنُتِبْ، وَتُتِبْ، وَلِذْ بِرَحْمَانِمَنْ كُلِّ ذَنْبٍ عَفْوُهُ أَكْبَرُ

ومثلها في ديوان (مع الله، ص ٨٨) مقفأة الصدور، مقفأة الأعجاز:

الليْلُ فِي ظُلْمَتِهِ دَاجِئًا بِالْفَجْرِ فِي إِشْرَاقِهِ أَفْصَحُ
فَكَانَ لِلْأَبْيَابِ مِعْرَاجًا أَسْرَى بِهِ نَحْوَ السَّنَا الْأَوْضَحِ
أَشْرَقَ فِي الْأَبْصَارِ مِنْهَا جَا فَا لِنَفْسٍ مَنْ إِيْمَانِهَا تَنْضَحُ
وَالْقَلْبُ فِي خَفَقَتِهِ نَاجِئًا بِالصَّدْرِ فِي أَنْفَاسِهِ سَبَّحُ

ومن أغرب (وأبداع) ما وجدته للأميري رحمه الله قصيدة فريدة في بابها، فريدة في
معانيها، لم يُتَّخَ لي سواها في قديم أو جديد، على كثرة اطلاعي على مثل هذه
المستجدات الوزنية، ذلك أنها تجري على وزن أراه مُشَقَّقاً من الضرب الثاني لبحر
المنسرح، بزيادة سبب تام إلى عروضه وضربه هكذا :

مســـــــــــــــــ تفعلن مفعـــــــــــــــــولاتُ مفعولاتُ مفعـــــــــــــــــولاتُ مفعـــــــــــــــــولاتُ

وذلك بتطبيق هذه الزيادة على (الصدر) و(العجز) معاً.
يقول فيها (مع الله ص ٨٣):

حَـواسُ جِـسْمِي إِـلَى التُّـبَّـرِ ابِّـتَمَّـتْـي
وَأَفْـقُ رُـوحِي مِـنَ السَّمِّـاءِ أَسْمَـتْـي
مَأَلَّتْ كَـوْنِي أَحـُودُهُ لِي حَبِّـسْـي
كأَنِّي عـن وِـرَاءِ كَـوْنِي أَعْمَـتْـي
فِي النُّـومِ رُوحِي إِـلَى السَّمِّـاءِ تَسـرِّي
وَحَيِّـنَ أَصـحُو فِـي الأَرْضِ أَلْفِي الجِـسْمِ
يَكْـادُ حَدْسِي يَحُـلُّ هَذَا المُعَمَّـتْـي
لِـكِنَّ عَقْلِي يَضِيـقُ عِـنهُ فَهَمَّـتْـي
يَبَارِبِّ هَبِّ لِي هِدَايَةَ تُـجِـبْـي
أَحْطُ بِـرَبِّي بِـكُلِّ شَيْءٍ عِلْمِي

لكنه لم يستطع السيطرة التامة على هذا الوزن، فاختلطت لديه عدة إيقاعات متقاربة، ندَّ عنها سمعه، والتي يصعب على الأذن أن تشعر بالفروق الدقيقة بينها، إلا لمتمرس. فبغض النظر عن الزحافات الجائزة لـ(مستفعلن) و(مفعولات)، الحشويتين، فقد جاءت ثلاثة شطور؛ (هي: الأول والثاني والخامس) على العروض والضرب: مَفْعَلَاتِن = فاعلاتن) أي بحذف الواو من (مفعولاتن)، فتداخل الوزن مع مقصر البسيط: (مستفعلن فاعلن مَفْعَلَاتِن)، ومنه قول ابن الفرس الغرناطي:

يَبَارِبِّ أَعَالِيهِ والشَّوْقُ أَغْلَابِي
وَأَرْتَجِي وَصْنِي وَأَلَّهُ، وَالنَّجْمُ أَقْرَابِي
سَدَدَتْ بِسَابِ الرِّضَا عَن كُلِّ مَطَأِي

وكانت كلمة (المُعَمَى) في صدر البيت الرابع قد ضُبِطَتْ بفتح العين وتشديد الميم (المُعَمَى)، مما جعلَ (عروضه) على (مستفعلاتن)! ولذلك آثرتُ ضبطها بسكون العين، وفتح الميم دون تشديد، لتنسجمَ مع وزننا المقترَح (مفعولاتن).
كما ضُبِطَتْ الياء من قوله: (حدودُهُ لي حَبْسٌ) وقوله: (عن وراء كوني أعمى) في البيت الثاني بالفتح، فانتقل وزن العروض والضرب إلى (مفتعلاتن)، وقد ضبطتُهما بالإسكان، لينسجمَ وزن البيت مع وزن القصيدة المقترح.
وكنت في بحثي المخطوط عن (بحر المنسرح)، قد كشفتُ عن عدد من القصائد على الضرب (مفعولان) أرجو أن ترى النور قريباً.
د. عمر خلوف-الرياض

واستخدم الأميري قالب الرجز:

مس_____تفعلن مس_____تفعلن مفعولنمس_____تفعلن مس_____تفعلن مفعولن

وهو قالب جميل، غير خليلي، مثل له أبو الحسن العروضي بقول الشاعر:

دَنَوْتُ مِنْهُ فَنَأَى وَصَّـدَّأُولُنْتُ فِي الْقَوْلِ لَهُ فَاثْتَدَا
وَكَانَ هَذَا فِي الْبَدِيِّ مِنْهُمُزْحاً، فَلَمَّا امْتَدَّ صَارَ جِدَا
لِبَيْسَ مَا جَازَى بِوَصَلِ هَجْرَ امْجَازِيَاً بِالْقَرَبِ مِنْهُ بَعْدَا

ونظراً لخروجه على الأوزان الخليلية التي حددها الخليل فقد اعتبره العروضي (تلبيساً) من الشاعر على الناس (!)، لأنه كما يظن كان يجب أن تكون جميع شطوره مقفاة، لتكون من مشطور السريع.
وذكره الشنتريني في شواذ الرجز، واستشهد له بقول الشاعر:

مَهَامِةٌ أَعْلَامُهُ هَامُودُ مَاؤُهُ فَا فَي وَرِدِهِ بَعِيدٌ

ولم أجد له من الشواهد الصحيحة سوى بيت فريد، أورده الجاحظ مثلاً على التنافر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قَرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

وقد زاد استخدامه لدى المعاصرين كنزار قباني، وأبي سلمى، والأميري، وغيرهم.
يقول عمر البهاء الأميري (ملتزماً قافية في الصدور وأخرى في الأعجاز) (مع الله
٩٠):

يا بذرُ هلْ شَهِدْتَ أَهْلَ بَدْرٍ تَحَفَّهُمْ مَلَائِكُ الرَّحْمَنِ
فِي مَوَكِبِ مَنْ السَّيِّئِ وَالطَّهْرِ قُلُوبُهُمْ تُشْرِقُ بِالْإِيمَانِ
كَأَنَّ هَامَاتَهُمْ بِالنَّصْرِ فَنَأَوْهُمُ بِالْأَحَادِدِ الدَّيَّانِ
يَسْتَبِقُونَ الْمَوْتَ دُونَ صَبْرٍ لِيَنْشَقُوا مِنْ أَرْجِ الْجِنَانِ
وَالعَصْرِ، هُمْ هُدَى لِكُلِّ عَصْرٍ وَمَثَلٌ حَيٌّ مِنْ الْقُرْآنِ

وله مثلها (ص ٩٥-٩٦).